انتفاع الانسان من الحيوان

قد يظهر هذا الموضوع لاول وهلة تحصيل حاصل اذ ما من احد يجهل نفع الحيوان للانسان فهو مطيَّتهُ ومنهُ طعامهُ ولباسهُ. لكن كلمة حيوان اعمُّ من ان تختص بالنعم من الخيل والجمال والغنم والبقر فهي تطلق على اصغر انواع الاحياء التي تسكن الهواء والماء ولا ترى بالعين بل بالمكبِّرات كما تطلق على الفيل والحوت. واصغرها جرمًا اكبرها فعلاً فالحيوانات البحرية الدقيقة تقتنص اصدافها من الجير (الكلس) المذاب في الماء وتطرحها في قاع البحر فيرسب بعضها فوق بعض حتى اذا ارتفع قاع البحر وانكشف للهواء صارت تلك الرواسب صخرًا صلبًا وتربًا خصبًا. وقد جرى ذلك منذ ملايين كثيرة من السنين ولا يزال جاريًا حتى يومنا هذا وبه تكوَّنت طبقات الصخور الطباشيرية والجيرية. وهذه الاهرام الابدية القرار مبنيَّة من حجارة رسبت دقائقها في قاع البحر من الاصداف التي كانت عائشة فيه. وجبل المقطم المقابل لها مؤلف من هذه الاصداف ايضًا وكذا جبل لبنان وما فيه من الهضاب والوهاد

ويتلو هذه الحيوانات الدقيقة حيوان الاسفنج الذي نستعمل هيكلهُ في بيوتنا ومستشفياتنا للبل والمسح ونصيدهُ من اعماق البحر لهذه الغاية. ثم حيوان المرجان الذي تبنى من حياكله الجزائر وتحفظ به ثغور البحار. وقد تحولت الصخور المرجانية القديمة الى المرمر البديع الذي صُنعت منهُ تماثيل القدماء والمحدثين وبنيت به اشهر مبانيهم

والاصداف الكبيرة لا تخلو من نفع كثير ولا سيما اللؤلؤيّ منها. واللؤلؤ نفسهُ جوهر ثمين يستخرج من الاصداف يدفع الشياهون به مئتي الف جنيه كل سنة للذين يغوصون عليه في بحر فارس فلولاهُ لسُدَّت ابواب الرزق في وجوه كثيرين

انتقل من البحر الى البر وانظر الى الديدان الحمراء التي تختفي في التراب خشيةً ولا تستصغر شأنها فقد حسب دارون ان في الفدان من الارض مئة الف دودة منها وعملها الدائم قلب تربة الارض ومعاونة الفلاح على تخصيبها

والحشرات التي نستعيذ بالله من شرها قد يكون منها نفع كبير كما في حشرة القرمز والقرمز والدن. والبراغيث التي قال فيها الراجز

يا أيتا ارّاني القِدّانُ فالنوم لا تألفهُ العينانُ

توزّق الكلب حامي الدار فيدفع عنها اللصوص والذبان تطهر البيوت وتنقيها من الاقذار

والمناكب ووهن خيوطها يضرب به المثل منها انواع خيوطها متينة تنسج نسجاً ثمينة عند ملكة الانكليز ثوب منها اهدتهُ اليها امبراطورة البرازيل وهو اخر من الحرير . والجنادب و الجراد من الد اعداء الانسان لكن الهنود والعرب يأكلونهما وما ضرَّ الناس لو اشاعوا اكلهما فحوَّلوا الضرَّ نفعاً

ودودة الحرير مشهورة بالحرص على مايهِ هلاكها حتى قال الشاعر

كدودة القز ما تبنيهِ يهدمها وغيرها بالذي تبنيهِ ينتفعُ

لكنها مصدر صناعة كبيرة وتجارة واسعة ولو لم تُعدَّ رابحة. وليتفنن الناس ما تفننوا وليصنعوا ما شاءوا من النسج فلن يقوم مقام الحرير شيء في صفائهِ ومتانتهِ وبهاء الوانهِ. ولولا ضنع الصنَّاع الذين يقلونهُ بالاصباغ حتى ترهن قوتهُ وتزين متانتهُ لكان ارخص ما ينسج كما انهُ اجل الانسجة

والنحل وان شكت منهُ ربة البيت ولم تجد مكاناً لذي نيهِ اطايبها منهُ لهُ فضل لا ينكر في تنقية البيت من الفضول وتطهيرهِ من الادران . ومنهُ نوع عسَّال يجمع العسل في معدة حتى تصير كالزق المنفوخ كما ترى في هذا الشكل فيتنقَّل بهِ اهالي المكسيك بعد الطعام كما ننقل بالعنب والتفاح

(١) النحل العسال مكبرًا ويقطع الصبي

ومن ينكر نفع النحل وشهدهُ نضرب بهِ الامثال ولا يزال مفردًا في طعمهِ وطيبهِ ولو تعددت انواع السكَّر ولكن نفعهُ هذا لا يعدُّ شيئاً في جانب نفعهِ للزراعة وتلقيح الازهار فلولاهُ ولولا ضروب الحشرات ألَّفي من نوعهِ لفسد اكثر الزرع وقلَّ حمل الاشجار

واذا ارتقينا من هذه الحشرات الدنيئة الى ذوات الفقرات وعُدنا الى البحر الذي شرعنا فيهِ لقينا من طوائف الاسماك والحيتان ما لا يقع تحت حصر حتى قيل حدِّث عن البحر ولا حرج وحسبنا دليلاً حسيًّا على ذلك النظر الى الصورة التالية فانها تمثل جانباً من البحر وازدحام

الاحياء وقد وكم من نوع من بنى نوعه ومعيشتهم ومعيشة غيرهم من صيد للسمك وتمليحه

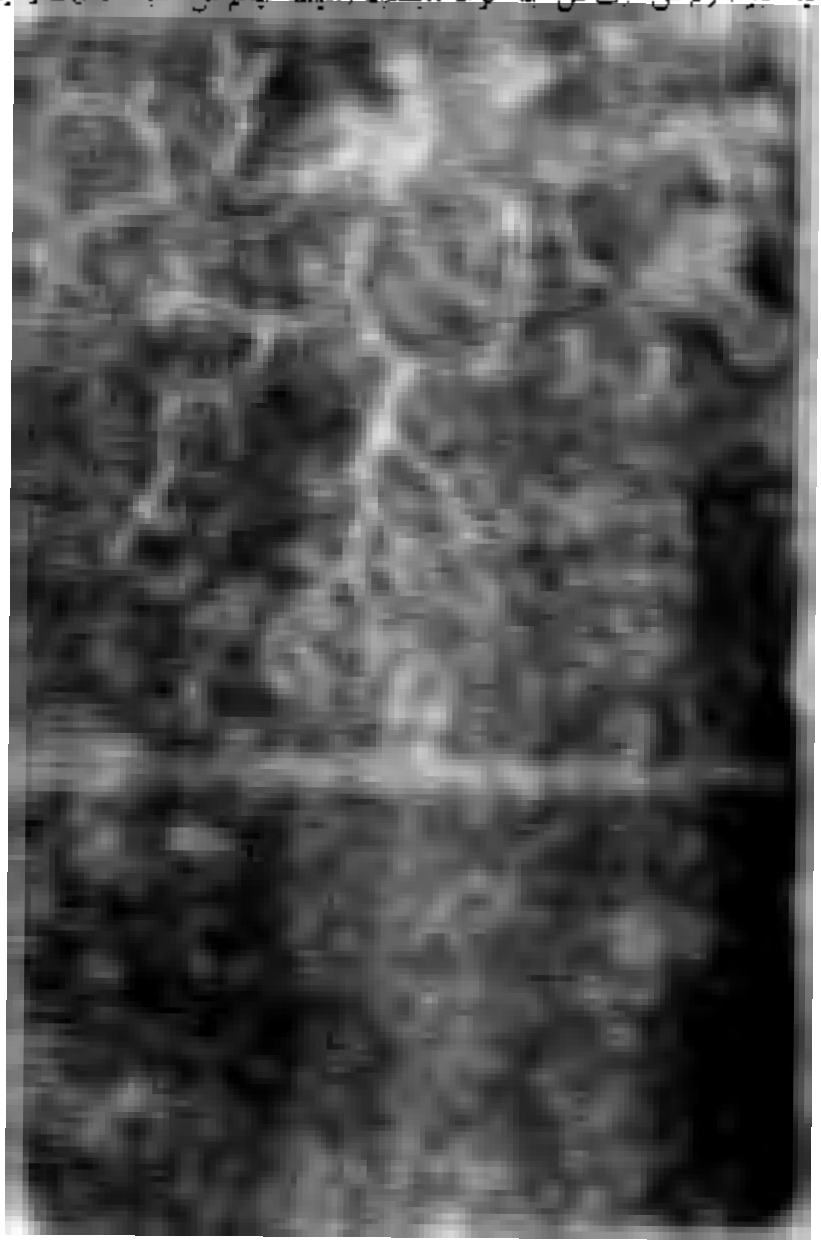

(٣) ما في البحر من الاحياء

ولقد يدهاحتى قيل ان مصايد نهر الفلغا (بروسيا) وحدها تعمل فيها مئة الف نفس . ولحم السمك

ودهنهُ وعظمهُ وبيضهُ وفروسهُ وزعافتهُ وكل ما فيهِ نافع للانسان يصاد لاجلهِ من كل البحار والانهار ويحتمل الناس في صيدهِ بود القطبين و يجشمون مخاطرهما ويأكلونهُ طريًّا ومقدَّدًا ومملَّحًا ومحفوظًا في الزيت على اساليب شتَّى

واذا عدنا الى الزحافات وجدنا الضفادع والعظايات تأكل الحشرات المضرَّة بالزراعة . والافاعي على كراهة الناس لها لا تخلو من النفع ولاسيما الكبيرة أنيِّ تسلخ جلودها وتستعمل في الصناعة ويستخرج زيتها لغايات كثيرة . والبراغ البيضاء وهي من كبار الافاعي يؤكل لحمها في جنوبي اميركا ويستطاب

وذيل السلاحف من اثمن مواد الترصيع . وجلد التمساح واسنانهُ وزيتهُ ناقصة كلها في الصناعة وكذا المادة المسكيَّة أنيِّ فيهِ

وفائدة الطيور اشهر من ان تذكر بلحمها وبيضها فانهك باستعمال ريشها الآن في تزيين برانيط النساء حتى كاد بعض انواعها ينقرض وهو مما يسوءنا ذكرهُ

والطيور فائدة اخرى يعلمها عمَّاله النبات والحيوان وهي انها نقلت بزور النبات الى الجزائر البعيدة وزرعتها فيها فاعدَّتها لسكنى الانسان

ثم اذا تدرَّجنا الى الحيوانات الثديية اتَّسع امامنا مجال النفع ووقفنا امام المجاوث وقفة المعترف لها بالفضل علينا فانها تغذينا بلبنها ولحمها وتدفئنا بشعرها وصوفها وعليها اكثر اعتماد نوع الانسان حتى الآن في النقل والارتحال والحرث والزرع . وما من عضو من اعضائها الَّا ولهُ منافع جمَّة حتى عظامها واظلافها وقرونها واذنابها واحشاؤها . وقد يجهل كثيرون ان اجمل الاصباغ السوداء يصنع من عظام الحيوانات واجمل الاصباغ الزرقاء من حوافرها وان دمها يدخل في الصباغة وزبلها في الدباغة . وان الفصفور الذي عليهِ الاعتماد في عمل عيدان الثقاب يستخرج من العظام

واذا التفتنا الى المجاوات من حيث الصحة وصناعة الطب رأينا انها هي التي لقيتنا من الجدري والكلب والدفتيريا وغير ذلك من الامراض المميتة التي يتخذ لها اللقاح من الحيوان

الَّا ان الانسان كفور غير شكور فاذا درى بفائدة من حيوان جار عليهِ حتى يقرضهُ او ربَّما ذبحهُ وسلخ وقد كاد يقرض الفيل والاسد والزرافة والكركدن وجار على الجمل والفرس والحمار والثور فلا تجد عندهُ راحة . واما الغنم والمعزى فلم يعد لها غرض من الوجود الَّا تحويل الطعام النباتي الى طعام حيواني لتغذية الانسان